مجلة مقاربات فلسفية | ISSN : 2352- 9776 EISSN : 660X-2600 | مجلد 08 / العـدد: 01(2021)، ص 286- 304

ابن مسرة الأندلسي وإشكالية العقيدة والسلطة

Ibn Masarah Al-Andalusi and the problem of creed and authority

د.نصيرة طيطح

جامعة عبدالحميد بن باديس .مستغانم .(الجزائر) nassiratitah@gmail.com.

تاريخ الاستلام: 2021/05/02 تاريخ القبول: 2021/05/28 تاريخ النشر: 05/06/ 2021

ملخص:

يتناول هذا المقال الموسوم ب" ابن مسرة الأندلسي واشكالية العقيدة والسلطة " علم من الأعلام البارزين الذين أثاروا جدلا واشكالا كبيرا في مجال العقيدة والفكر الفلسفي . نهدف من خلال هذا الموضوع الذي يتميز كونه فلسفي الملمح لكن جوهره تاريخي التوجه إذ نسلط الضوء على جزئية من تاريخ تراث الفكر الفلسفي، الذي تميزت به الحضارة العربية الاسلامية في بلاد الأندلس إبان العصور الوسطى،وكذا نكشف عن حقيقة مكانة الفلسفة في بلاد الأندلس من خلال تبيان موقف السلطة الأموية من عقيدة وفلسفة الفكر المسرّي على سبيل المثال لاالحصر.وقد تبين لدينا من خلال استعراض هذه الدراسة بأن هناك قناعة سياسية جعلت السلطة الأموية بالأندلس تشهر السيف وتطارد الذين اشتغلوا بالفلسفة بصفة عامة ،و عقيدة ابن مسرة بصفة خاصة الذي كثرت أعداد أتباعه ، وهي من الدلالات التي بينت مدى قدرة مريديه على اخترق أطر السلطة الحاكمة وسط ظروف الاضطهاد والحصار الفكري والمذهبي الاستثنائية،مما جعل الفلسفة والعقيدة المسرية تستمر وتتجدر، إذ مثلت أساس و حجر الزاوية في تاريخ الفكر الجدلي والفلسفي لمتصوفة بلاد الأندلس إبان العصور القروسطية .

الكلمات المفتاحية : ابن مسرة الاندلسي ؛ الفكر الفلسفي؛ العقيدة ؛ السلطة؛مرسوم الخليفة عبد الرحمن الناصر.

Abstract: This article, titled "Ibn Masarah Al-Andalusi and the Problem of Belief and Authority," deals with a prominent scholar who has provoked controversy and great controversy in the field of belief and philosophical thought. Through this topic, which is characterized by being a philosophical allusive but its essence is historical orientation, we aim to shed light on a part of the history of culture and philosophical thought, which characterized the Arab-Islamic civilization in the countries of Andalusia during the Middle Ages, as well as to reveal the truth about the position of philosophy in the countries of Andalusia through investigation On the position of the authority on the doctrine of the philosophy .Through the review of this study, it became clear to us that there is a political conviction that made the Umayyad authority in Andalusia wield the sword and chase those who worked in philosophy of the ruling authority in

The exceptional circumstances of intellectual and doctrinal persecution and siege,which made the Masarite philosophy and belief continue and rooted, as it represented the basis and cornerstone of the history of the dialectical and philosophical thought of the Sufis of Andalusia during the medieval period.

Key words: Ibn Masarah Al-Andalusi; Philosophical Thought; Creed; Authority; Decree of Caliph Abdul Rahman Al-Nasser.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لقد تعرضت الفلسفة في بلاد الأندلس الى قهر سياسي كبير ،حيث برزت قوة السلطة الحاكمة في عهد الدولة الأموية بالأندلس(2-5هـ/8-11م) أكثر وطأة وتنكيلا ، فقد عملت على مطاردة الفلسفة وتعقب رجالها بالقتل والتشريد،ومن بين الذين عانوا من ذلك القهر والمتابعة علم من أعلام الفكر الفلسفي وعقيدة الإعتزال والتصوف ،ونقصد هنا شخصية ابن مسرة الأندلسي (269-319هـ/883-931م). فقد عانى هذا الأخير بسبب مذهبه وفكره الفلسفي هو وأتباعه من سطوة السلطة السياسية التي اتهمته بالكفر والزندقة .كما لاحقته بإصدار كتاب-مرسوم سلطاني- للتحذير من فكره ومذهبه هو وأتباعه .

ولكي نكشف عن أبعاد تلك الشخصية يحق لنا طرح تساؤلات منها :كيف كان مناخ البيئة الثقافية والفكرية التي عاش فيها ابن مسرة ؟ ماهي أهم العوامل التي لعبت الدور الأكبر في تكوينه؟. ماهي أسس التي يرتكز عليها مذهبه؟ .هل كان للفلسفة اليونانية تأثير على التكوين الفكري للمدرسة المسرية ؟. وأخيرا ما موقف السلطة الأموية بالأندلس من عقيدة و فكر المسرّي ولماذا؟.

وانطلاقا من مسافة الزمنية التي عاشها الفيلسوف ابن مسرة الأندلسي،سنحاول وضع بعض الفرضيات على ضوء التساؤلات السالفة الذكر وهي كاتالي : -دور مناخ البيئة الثقافية في بلاد الاندلس ،وكذا التنشئة الأسرية و التعليمية في تكوين شخصية ابن مسرة .

-يرتكز فكر المدرسة المسرية على مصادر ومرجعيات ذات صلة بالفلسفة اليونانية القديمة المرفوضة أساسًا داخل حدود بلاد الأندلس.

- توجد الأسباب والدوافع في موقف السلطة المطارد للفكر الفلسفي وعقيدة ابن مسرة الاندلسي .

نستهدف في مقالنا هذا الإجابة عن هذه الأسئلة و تسليط الضوء على أهم مؤثرات البيئة الثقافية والفكرية التي ساهمت في تأسيس عقيدة وفلسفة ابن مسرة الأندلسي وتطورها إلى مدرسة تعني بالفكر المسري في بلاد الاندلس .

- إبراز أهم الأسباب والدوافع وراء مطاردة السلطة لابن مسرة ومريديه .
-إبراز ان بلاد الأندلس تزخر بتراث فلسفي وابداع فكري.
-إن قضية الفكر المسري قضية جوهرية في التراث الفكري وهي من الدلالات على مدى مساهمته في مجريات بناء تاريخ و حضارة الفكر الفلسفي لمتصوفة بلاد الأندلس إبان العصور القروسطية .
- ولضبط المادة العلمية للبحث استعملنا ،المنهج التحليلي والمقارن للتحليل بهدف التقصي عن حقيقة وآراء المؤرخين حول عقيدة ابن مسرة ،كما حاولنا تتبع مسار حركة نشأة مذهب الفكر المسري وتطوره وموقف السلطة منه على أساس مقاربة فلسفية -تاريخية حسب طبيعة موضوع الدراسة .

2.ابن مسرة ومدرسة الفكر المسرّي

2-1 نشأة ومؤثرات البيئة الفكرية:

مولده ونشأته : هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي الجبلي، يكنى أبا عبد الله ولد في قرطبة من أسرة اصلها من الموالي، وعن مولده ووفاته يخبرنا ابن الفرضي(ت403هـ/1019م) قائلا «قال لي محمد بن عمر: توفي في صدر شوال 319هـ، وجدت بخط أحمد بن سعد: ولد محمد بن عبد الله بن مسرة ليلة الثلاثاء في الثلث الأول من الليل لسبع مضين من شوال 269هـ ووجدت ذلك بخط أبيه [1]. ». نشأ في بيت علم وكان أبوه عبد الله يهوى آراء المعتزلة ،وكان صديقا لأحد معتزلة الأندلس وهو خليل الغفلة ، وكانت أراء المعتزلة وغيرها من الآراء الكلامية والفلسفية معروفة في الأندلس آنذاك نتيجة اتصال بعض مفكري الأندلس بالمشرق وقيل أن أباه زار مدينة البصرة [2].

تتلمذ على أبيه ومحمد بن وضاح (ت287 /900م) من أشهر علماء الأندلس و الخشني(ت361 هـ /971م): فتعلم علوم الدين على أبيه على طريقة المعتزلة بما تنطوي عليه من عناصر فلسفية. توفي أبوه بمكة سنة 266هـ/899م. وهو لايزال صغيرا إذ كان سنه لا يتجاوز سبعة عشرة عاما[3]. بالرغم من صغر سنه كان له عدد من التلاميذ،وكان يعيش في معتزل كان يملكه بجبل قرطبة [4]. وقد أتّهم في طبيعة تعاليمه، فقيل بأنه كان يلقن تلاميذه مذهب –بدعة –الاعتزال في القدر التي تقول بأنّ الإنسان هو الفاعل الحقيقي لجميع ما يصدر عنه من أفعال[5].

خرج ابن مسرّة هاربا من الأندلس إلى المشرق وكان في صحبته إثنان من تلاميذه ومعتقدي مذهبه: محمد بن حزم بن بكر التنوخي المعروف بابن المديني، وابن صقيل محمد بن وهب القرطبي [6]. ودخل القيروان فلبث فيها مدة وهناك ، يخبرنا ابن عذاري نقلا عن رواية محمد بن الحارث الخشني بأنه ومرافيقه سمع لدرس الفقيه أحمد بن نصر بن زياد المالكي وكان عالما في

المناظرة صحيح المذهب ،سليم القلب، حيث قال : «حتى دخل عليه محمّد بن عبد الله مسرّة القرطبي...فسلّم وجلس جانبا وهو يجيل ببصره في وجوه المتكلمين .قال :فلم أشكَّ أنّه من أهل العلم ،ولم أكن عرفته باسمه.فلما أظهر الشيخ أحمد بن نصر القيام ،قال له :يا شاب جلست منذ اليوم .فهل من حاجة تذكرها؟.فجاوبه محمد بن مسرّة بكلام حسن بليغ ،وقال له : أتيتك مقتبسا من نورك ،ومستمدا من علمك ... [7] ».وبعدها اتجه نحو مكة وسمع أبا سعيد بن العربي وكان على مذهب أهل السنة،ولكنّه كان يتكلم في الباطنية ويعلّم دقائق أسرار الصوفية ،وقد كانت له رسالة في الرد عن ابن مسرة[8].وذهب بعد ذلك إلى الحجاز فحج غير مرّة وزار قبرالنبي ﷺ، فدّله بعض أهل المدينة على دار مارية أم ابراهيم فقصد اليها[9].

2-2- عقيدتُه وفلسفتُه:

عاد ابن مسرة إلى الأندلس. وبالرغم من أنه أظهر الكثير من النسك والورع مع ذلك فان الأخبار المستخلصة من المصادر المتقدمة وحتى من الدراسات والأبحاث الحديثة المتأخرة أظهرت إشكالا كبيرا من حيث الحكم على عقيدته ومذهبه ،فقد كان يجمع بين بعض أصول الاعتزال وبعض مبادئ المتصوفة التي اصطنعها من آراء ذي النون المصري المتصوف[10] . يتضح ذلك من نص ابن الفرضي جاء فيه :« ... وقد أظهر الكثير من النسك والورع ،فأغترّ الناس بظاهره ،فاختلفوا إليه وسمعوا منه،ثم ظهر الناس على سوء معتقده وقبح مذهبه،فانقبض من كان له إدراك وعلم ،وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهلُ فدانوا بِنِحْلتِه وكان يقول بالإستطاعة ،وإنفاذ الوعيد ،يحرف التّأويل في كثير من القرآن .وكان مع ذلك يدعي التكلُّمَ على تصحيح الأعمال،ومحاسبة النفوس على حقيقة الصّدق،في نحو من كلام ذي النّون الأخميمي ،وأبي يعقوب النهّرجوري،.وكان له لسان يصل به إلى تأليف الكلام وتمويه الألفاظ وإخفاء المعاني ... [11] » . وعن اختلاف الناس في الحكم عليه يردف ابن الفرضي قائلاً :«الناس في ابن مسرّة فرقتان :فرقةٌ تَبلُغ به مَبلغَ الإمامة في العلم والزُّهد ،وفرقة تطعن عليه بالبدَع لِمَا ظَهر من كلامه في الوَعْد والوعيد ،وبخروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس ،الجارية على مذهب التّقليد والتّسليم... [12] ».

ويقول ابن حزم (ت456هـ/-1064م):« ...أن ابن مسرة شارك المعتزلة في القول بالقدر،وكان يقول أنّ علم الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان وإنّ لله تعالى علمين أحدهما أحدثه جملة وهو علم الكتاب –وهو علم الغيب –كعلمه أنه سيكون كفار ومؤمنون بالقيامة والجزاء ونحو ذلك والثاني علم الجزئيات ،وهو علم الشهادة واستشهد على ذلك بقوله تعالى { عالم الغيب والشهادة}....[13]».ويضيف صاعد الأندلسي (ت462هـ/1070م) قائلا:« محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي الباطني" من أهل قرطبة كلفا بفلسفته دؤوبا على دراستها. وكان أول من ذهب إلى الجمع بين معاني صفات الله تعالى، وأنها كلها تؤدي إلى شيء واحد، وأنه إن وصف بالعلم والجود والقدرة فليس

هو ذا معان متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة، بل هو الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثر بوجه ما أصلا، بخلاف سائر الموجودات، فإن الوحدانيات العالمية معرضة للتكثير إما بأجزائها وإما بمعانيها، وإما بنظائرها، و" ذات الباري" تعالى متعالية عن هذا كلّه ... وفي مقطع آخر يصفه بأنه باطني فقال محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي نسبة إلى الجبل الذي اعتزل فيه مع جماعته خوفا من محاربته ، "الباطني" نسبة إلى شيعة الباطنية[14] ...».

اما الحميدي(ت488هـ/1096م) فيصف فكره وعقيدته قائلا : « له طريقة في البلاغة و تدقيق الغوامض، إشارات الصوفية، و تواليف في المعاني نسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها و الله أعلم به ...[15]». على الرغم من أنّ ابن خاقان (ت569هـ/1135م) ادرجه ضمن فقهاء الأندلس مع ذلك قال عنه: « كان على طريقة من الزهد والعبادة سبق فيها واتسق في سلك محتذيها، وكانت له إشارات غامضة وعبارات عن منازل الملحدين غير داحضة ووجدت له مقالات ردية واستنباطات مردية ... فتتبعت مصنفاته بالحذق واتسع في استماحتها الخرق ... [16]».

أما القفطي (ت646 هـ/1268م) فيخبرنا بانه كان متأثرا بفلسفة أمبيذقليس حيث قال : « ... ومن المشتهرين في الملة الإسلامية بالإنتماء إلى مذهبه محمد بن عبد الله الجبلي الباطني من أهل قرطبة ، كان مولعا بفلسفته ملازما لدراستها اتهم بالزندقة لأكثاره النظر في فلسفة أمبيذقليس ولهجه بها ... [17] ».مع ذلك فابن الآبار(ت 658هـ/1260م) قلل من خطورة عقيدته بقوله:« وحكي عن ابن مسرة أنه كان يتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم ولقد بنى في الجبل بيت طوله وعرضه على قياس بيت الرسول عليه الصلاة والسلام الذي بناه لزوجه مارية أم ابراهيم ...[18]».وكما نلاحظ ومن خلال هذه النصوص التي ترجمت لابن مسرة نعتت عقيدته ومذهب فلسفته بكثير من الاتهامات، مما أثار عليه غضب العامة والفقهاء الذين رموه بالإلحاد وإتهموه بالزندقة[19]، فحاصروا فكره و أشعلوا نار السلطة عليه وأحرقت كتبه[20].

أما بالنسبة للدراسات الحديثة فنجد دراسة المستشرق الإسباني ميغيل آسين بلاثيوس (ت 1949 - Miguel Asín Palacios)) الموسومة " ابن مسرة ومدرسته :أصول الفلسفة الإسبانية المسلمة[21]،-- Abnmassara y su escula ;orígenes de la fílosofía hispano-musulmana - حيث أكد تأثر فلسفة ابن مسرة بمذهب الأمبيذقليس[22] (483- 423ق.م) Empédocle-اقدم الفلاسفة الكبار في اليونان . ولقد اعتبر المفكرون العرب أمبيذيقلس بمثابة الراهب الذي إنقطع للهدّي والحياة الروحية الزاهدة[23].

ويعرض الشيخ كمال محمد عويضة نقلا عن هنري كوريان قائلا:" أن تشكيل ملمح البناء الفلسفي للآراء ابن مسرة [24]. أنها غنية بالغنوصية –المعرفة- والأفلاطونية المحدثة،كما يعتبر

بأنّ نظرية الفيض المرتب حسب خمس عناصر: المادة الأولى ،العقل ،النفس ،الطبيعة ،المادة الثانية التي في الأصل ليست المادة الأولى والعكس ،وغير المادة المكونة لأجرام الكون ، وحسب كوران فان الفرق بين هذه المرتبات ومرتبات أفلاطون أنها تبدأ بالواحد وليس بالمادة .ويرى أن هذه المادة المدركة الشاملة بالذات هي الفرضية المميزة في الفكر الفلسفي المسرّي..[25]". فالله يدرك تمام الإدراك كل ما هو كوني وإلى الأبد ولكن ليس من أجل ذلك يحدد الأفعال الإنسانية، ذلك لأن قدرته أرادت خلق إنسان حرّ ومسؤول عن افعاله[26].

وكون الإنسان حرا ومسؤولا يجعله في حاجة إلى قانون للحياة،يطهر الروح من كل النقائص التي تلازمه،نظرا للطابع الحيواني الذي يلازمه مكانيا وزمانيا .ويحوي قانون الحياة هذا في طياته ،الممارسات الصوفية التي تتمثل في تعذيب الجسد،التوبة ،الصوم،الصبر،الفقر، الصمت،التواضع،الصلاة،الحب الغيري،الإيمان بالله، وامتحان الضمير لأفعال الموجبة .وهذه الممارسة الأخيرة هي الأكثر قيمة،لأنها تتيح لنا اكتشاف سير الأهداف الروحية لأفعالنا،وبهذا يزود القانون الروحي الروح الإنسانية بكمال يشبه-وإن كان غير مساو-الروح النبوية؛إن هذه الهبة تمثل قمة الحياة الروحية التي تتيح للروح الإنسانية بأن تعكس ،كمرآة شديد ة اللمعان،صورة للحكمة الإلهية مستعدة للسعادة النهائية وهي الاتحاد بالذات الإلهية[27]. وهكذا تتضح لنا من خلال تلك القوانين الضابطة تجليات الجوانب الروحية للفكر الصوفي المسرّي .

3 :موقف السلطة الأموية بالأندلس من عقيدة وفكر المدرسة المسرّية

رغم طابع الانفتاح و التسامح الديني الذي واكب طردا النمو الحضاري للأندلس في عهد الدولة الأموية (138-422هـ/756-1031م)، رغم ذلك فان هذا الازدواج لم يلغ حدود التشدد عندما نقترب من نقطة العبور المذهبية، أي خارج نطاق حدود مذهب مالك بن أنس[28] المذهب الذي تبنته السلطة الأموية بالأندلس رسميا منذ عهد الأمير هشام الأول(172-180هـ/788-796م) وابنه الحكم الأول(-180-206هـ/ 796 -822م)دون غيره من المذاهب الأخرى [29]التي كان عليها بعض الأندلسيين خاصة مذهب الأوزاعي[30] المذهب السائد في بلاد الأندلس. ولذلك حاربت ا لدولة الأموية كل الحركات المذهبية المناوئة لمذهب مالك ، لم يأت حكم الأمويين المسبق في هذا الباب إلاّ على أساس قناعة و دراية تامة بنتائج تلك الانقسامات المذهبية التي أدت الى انهيار خلافة أجدادهم بالمشرق . وقد حرصت الدولة على جمع الكلمة تحقيقا للوحدة المذهبية .

3-1- إبان عصر الإمارة الأموية :خروج ابن مسرة من الأندلس سنة 300هـ/912م

في أواخر عهد الأمير عبد الله (275-300هـ/888-912م) تحديدا شهد ارتباك وقلق امني وسياسي كبيرين، فقد أضحت السلطة في أقصى درجات الضعف ما أفقدها السيطرة على زمام

الأمور[31]. ولذلك فإنّ سكوت الأمير عبد الله عن تنامي حركة ابن مسرة وأتباعه بعدم تعقبه ومطاردتهم ليس تجاهلا منه ولكن خوفا مما قد يؤدي الى المزيد من الفتن ،ومؤرخ البلاط ابن حيان وصف الوضع بقوله: «وأضرمت البلاد نارا وازداد السلطان عجزا لا تساع الفتون عليه[32] ». بالرغم من ذلك فقد حمل عليه فقيها مالكيا من ذوي النفوذ يدعى أحمد بن خالد الحباب- أبو عمر-(ت322 هـ/934م) [33]. حملة عنيفة ،وألف في الرد عليه "صحيفة "اتهم فيها رأيه وعقيدته وكان ابن الحباب فقيها مشاورا وعارفا بعلوم الدين [34]. وكان حريصا على تمسكه بالسنة[35] . وهي من الأسباب التي جلبت على ابن مسرة نقمة العامة وسخط الفقهاء ،فاتهموه بالزندقة والمروق عن الدين ، الأمر الذي جعله يخرج من الأندلس هاربا مع بعض تلاميذته[36]،كما سبق وأن لمحنا اليه .

2-3 إبان عصر الخلافة الأموية:مرسوم الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 345هـ/ 956م للتحذير من عقيدة ابن مسرة :

بعد موت ابن مسرة (ت319 هـ/932م) استمر أتباعه –مريديه- في نشر فكره ومذهبه على مدى عشرين عاما، حتى ثار الفقهاء و العلماء ضد ا تباع المدرسة المسرّية و رفعوها للخليفة عبد الرحمن الناصر(ت350 هـ/961م)، فأصدر هذا الأخير مرسوما إلى سائر أقطار الأندلس في سنة 345هـ/956م، يشدد فيه النكير على آراء ابن مسرة وتعاليمه ،وقد احتفظ لنا ابن حيان بنص طويل لهذا المرسوم و هو من إنشاء الوزير الكاتب عبد الرحمن ابن عبد الله الزجالي، و قد أنفذه إلى الآفاق واهم ما جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإن الله تعالى جده و عز ذكره جعل دين الإسلام أفضل الأديان، فأظهره و أعلاه، و لم يقبل من عباده غيره، ...فقال في محكم تنزيله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْه ﴾...[37] و نهى عن افتراق الكلمة... فقالوا بخلق القرآن ... و أكثروا الجدال في آيات الله، و حرموا التأويل في حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم،... : ﴿ألم ترى إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون، الذين كذبوا بالكتاب و بما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم و السلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾[38]...و نالوا محكم التنزيل و غامض متن التأويل بتقدير عقولهم: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله إلا الله، و الراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلٌ من عند ربِّنا، وما يذكر إلا أولو الألباب﴾[39].. .والشذوذ عن مذهب الجماعة، ... و أغلظ أمير المؤمنين في الأخذ فوق أيديهم، ...،و قدم فيه بين يدي العقاب الشديد، و أمر بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم بحضرته، ... و يرسله في بدوه و حضره، ... ، يقرأ على منابر المسلمين، ... ولا أهلك الله أمة من الأمم ... من التبديل للسنة والاعتداء في القرآن العظيم، و أحاديث الرسول الأمين صلوات الله عليه و سلم. .. . فمن تحلى منهم بما انتسب إليهم، و قامت عليه البينات بذلك عندك، فاكتب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم و مواضعهم، و أسماء

الشهود عليهم، و نصوص شهادتهم، لنعهد باستجلابهم إلى باب سدته، لينكلوا بحضرته... فإن فرطت في أحد الأمرين أو كليهما فقد برئ الله منك، وأحل دمك و مالك، فاعلمه و اعتد به إنشاء الله تعالى[40] ».

وفي سياق نص هذا المرسوم –السلطاني- يوضح لنا الأديب الجزائري علي بن محمد بأن سبب التدخل الرسمي وإنحياز حكام بني أمية في وقت مبكر إلى مذهب الإمام مالك، جاء من قبيل حرص هؤلاء الحكام على اختصار مرحلة الخلاف من أجل القضاء على إمكانات الصراع المذهبي فوحدة البلاد لا تحقق حسب رأيهم إلا إذا «كان انضواء معظم الفكر الديني تحت لواء المذهب المالكي، بسلفيته وصرامته[41]».

-عهد الخليفة الحكم الثاني المستنصر (350-366هـ/961-976م)

استطاع أهل الفكر الفلسفي أن يبعثوا من جديد نشاط فكر المدرسة المسرّية و الفضل في ذلك يرجع بالأساس حسب رأي المستشرق الإسباني بالنيثيا(ت1949) (Ángel González Palencia) إلى الخليفة الحكم المستنصر بالله ، الذي أضفى على عهده جوًّا من التسامح على الحياة الفكرية في الأندلس[42] ، فقد اشتهر بحب الكتب وجمعها والطلب عليها من كل مكان منها كتب الفلسفة الاغريقية [43] .وقد أعان ذلك كثيرا مدرسة ابن مسرة في البقاء والعمل بدون رقابة ،كما سمح لها أن تكوّن جماعة –اتباع- من خيرة التلاميذ اذ كان معظمهم من أهل الأدب والمؤرخين والمعنيين بالجدل والتفكير الفلسفي،وقد أورد لنا المؤرخون أسماء بعضهم مثل طريف الروطي ومحمد بن مفرج المعافري(يعرف بالفني)، وغيرهم [44]،ولا يبدو أنهم غيروا شيئًا من تعاليم شيخهم وكان من علامات أهل هذه المدرسة "التشريق "أي أنهم كانوا لا يولون وجوههم شطر مكة في الصلاة ،وإنما نحو الشرق الفلكي [45]. لكن ظهر لتلاميذ المدرسة المسرّية خصوم وقد اشتدوا في مهاجمة آراء ابن مسرة لما أبداه الحكم المستنصر في أخر حياته الرغبة في التكفير عن نفسه بتشجيعه لجمع بعض كتب الفلسفة فيما سلف[46].كما تابع محاربة من خرج عن مذهب الإمام مالك بن أنس، حيث يبدو ذلك جليا حين قال: « فمن خالف مذهب مالك بن أنس بالفتوى أو غيره، وبلغني خبره، أنزلت به من النّكال ما يستحق و جعلته شرادًا[47]» .

و بعد وفاة الخليفة الحكم سنة ت366هـ/976م ،استمر الفقهاء في مطاردة وتعقب اتباع المدرسة المسرّية عن طريق الخصومات الجدلية فلم يكتف الفقهاء بحظر قراءة كتب ابن مسرة بل يفتون بحرقها كما قام عدد من الفقهاء بتأليف كتب في الرد على ابن مسرة المتصوف الفيلسوف، فممن ألف في الردّ عليه من المشارقة :أحمد بن زياد الأعرابي وأحمد بن سالم التستري ،وممن رد عليه من الأندلسيين ابن أبيض وقد جمع في الرد عليه كتابا كبيرا حفيلا أكثر فيه من الحديث والشواهد. وللزبيدي(ت380هـ/989م) أيضا كتاب في الرد عليه [48]. وكذا الفقيه أبو عمر الطلمنكي [49].

وفي عهد الحاجب المنصور محمد العامري (ت392هـ/1002م) تحرج أمر المسرّيين أكثر وأعتنى القاضي محمد بن يبقى بن زرب (ت381 هـ/990م)بطلب أصحاب ابن مسرّة ،والكشف عنهم ،واستتابة من علم أنه يعتقد مذهبهم،واظهر للناس كتابا حسنا وضعه في الرد على ابن مسرّة ،قرئ عليه وأخذ عنه،وكان سنة 367هـ/977م.استتاب جملة جيءَ بهم إليه من أتباع إبن مسرّة، ثم خرج إلى جانب المسجد الجامع الشرقيّ ،وقعد هناك ،فاحرق بين يديه ما وجد عندهم من كتبه،وهم ينظرون إليه في سائر الحاضرين[50] . وعن ذلك يخبرنا ابن عذاري قائلاً: «...وكان المنصور أشدّ الناس في التغير على من علم عنده شي ء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد والتكلم في شيء من قضايا النجوم وأدِلّتها ،والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة .وأحرق ما كان في خزائن الحكم من كتب الدّهرية والفلاسفة بمحضر كبار العلماء ،منهم الأصيلي وابن ذكوان والزبيدي وغيرهم واستولى على حرق جميعها[51]».فزادت الحملة على أتباع ابن مسرة واضطروا إلى الهجرة ،ومن هؤلاء عبد الرحمن بن المهندس، الذي كان يلقب باقليدس الاندلس،وأودع السجن صاعد بن فتحون بن مكرم السرقسطي المعروف بالحمار،الذي ألف مدخلا إلى الفلسفة سماّه"شجرة الحكمة"،وتعقب الفقهاء غيرهم منهم الإفليلي وكان من ذوي العلم الواسع بالأدب وعلو م الدين والفلسفة [52].

4-تأثير فكر المدرسة المسرية وأهميته

4-1-تأثير الفكر المسرّي :

لم يضمحل أمر فكر المدرسة المسرّية فقد بقيت أراء ابن مسرّة متداولة على امتداد ثلاثة أجيال[53] على أقل تقدير، كما أنّ تعاليم فكره لم تقتصر على تلاميذته الذين لقوه واستمعوا إليه بل أنّ هناك أناسًا انحازوا إلى مذهبه دون أن يلقوه، كما نجد تداول فكر مدرسته عند بعض الكتاب الصوفيين في القرن 7هـ/13م. منهم طريف الروطي وأضحى بن سعيد وشمس الدين القرطبي (ت1173/671م) الذي نقل في كتابه الشهير" التذكرة "عن كتاب التبيين لأبن مسرة حديثا عن يوم القيامة ،نقله ابن مسرة بدوره عن والده وابن وضاح[54] .وكانوا هؤلاء من أهل الزهد والخير، كما ذكرتهم كتب التراجم.

ومن المفيد ان نشير في هذا الصدد أن ابن مسرّة مثّل إحدى الحلقات الهامة في سلسلة الآراء والأفكار التي أثرت في محي الدين بن العربي (ت638هـ /1240م)، الذي لا يخفي إعجابه بابن مسرة وقد ذكره في كتابه "الفتوحات المكية" في الفصل المخصص ((لحملة العرش)) حيث قال :« روينا عن ابن مسرّة الجبلي الذي كان أكبر الطريق علمًا وحالًا وكشفاً، العرش المحمول هو الملك وهو محصور في جسم وروح وغذاء ومرتبة... [55]». ويصرح علنا في موضوع آخر على كتاب الحروف

لابن مسرّة ،ولاسيما في كتاب الميم والنون ،حيث يخبرنا بأنه سيتناول علم الحروف على طريقة ابن مسرّة الجبلي [56].

يُعد ابن العربي أعظم متصوفيّ الإسلام ،فقد مزج التصوف بفلسفة المشّائين وبالعلو م الباطنية ومذهب الإشراق. وكان لكتبه أثر بالغ جدا في العرب أنفسهم وفي الفرس وفي الغرب الأوروبي. وخيالات ابن العربي في كتابه "الفتوحات المكية " كانت عنصرا أساسيا في بناء الكوميدية الإلهية للشاعر عصر النهضة الإيطالي دانتي (ت1321)- ومن القاب ابن العربي ابن افلاطون ،والبحر الزاخر في المعارف الإلهية[57].ومن آرائه :الاتحاد أو الشمول أو نظرية وحدة الوجود:خيال يقوم على أن العالم المختلف في أشكاله ليس سوى مظاهر متعددة لحقيقة واحدة هي الوجود الإلهي. ومن هذه النظرية تفرعت جميع آراء ابن العربي وخيالاته نظامه الصوفي [58].

والجدير بالإشارة وإعتمادا على بعض الدراسات الحديثة إتضح بأنّ الفكر المسرّي إنتقل عن طريق ابن العربي إلى المشرق،وأخذ به كذلك بعض مفكري اليهود مثل ابن جبرول ،و من النصارى مثل دومنجو جنذالذ أسقف شقوبية بإسبانيا وقد دعا إليها في طليطلة،وكذلك روجر بيكون (ت1294)وريمندو لوليو وغيرهم [59]. وهذا الاستشهاد كاف ليبين لنا مدى أثر فكر المدرسة المسرّية .بدليل المقاربة استشراقية المستفيضة التي طرحها ميغيل آسين بلاثيوس (Miguel Asín Palacios) حول ابن مسرة مدرسته وتحديدا عن انتقال فكر مدرسته قائلاً:«أنّ مدرسة ألمرية (Almería) إنما تمثل في جوهرها انبعاثا جديدا للحركة المسرية [60]».

فقد أثرت هذه الدراسة بطريقة مستمرة في مقاربة المستشرقين للصّوفية الأندلسيّة. لذلك لايزال العديد من الدراسات التي تتناول التصوَّف القروسطي ، وهي ترتكز إلى اليوم على الطرحيين المركزيين الذيين قدّمهما آسين في هذا العمل.مفاد الطرح الأول أنّ ابن مسرة : « وهو المسلم المعتزلي الباطني في الظاهركان،داخل الإسلام الإسباني،نصيراوداعيا للنظام الفلاطوني شبه الأمبيدوكيلي ونظريته المتميّزة:تربية الجواهر الخمسة المسبوقة بالمادة الرّوحيّة الأولى (Materia Prima) [61] ». والطرح الثاني :أنّ المذهب الصوفي الأندلسي الذي تلا ابن مسرّة بدءا بإسماعيل الرعيني وصول إلى ابن العربي إنما هو استمرار لمدرسة ابن مسرة التي نبع منها[62] .

لقد استند المستشرقون في مقاربتهم لشخصية ابن مسرّة ومذهبه على كتاب تاريخ الحكماء للقفطي الذي عاش بعد ابن مسرة بثلاثة قرون. حيث ابن مسرة يقترن في هذا التلخيص ب"الباطنية" والكتابات الأفلاطونية الحديثة التي ينسبها العرب إلى أمبذقليس . والثابت أنّ إشارة القفطي هذه ،قد اعتمدها دوزي(ت 1883)Dozy - ، وهي مستمدة من سطر أورده صاعد ،للإستدلال على باطنية ابن مسرة. فهو يعدّه «رسولا سرياّ للدعوة الفاطمية في اسبانيا[63]».أما غولدتسيهر (Goldziher) فإنه يعتبر ابن مسرة ((أمفكر حرّاً)) إذ يجزم قائلاً: «إنّ الإسلام الإسباني

في القرن الحادي عشر قد تم اختراقه سريعا بحركة متسترة للفكر الحرّ تسمت بالمسرّية[64]. ».
وقد لاحظ كلو عدّاس بأنّ لادوزي ولا غولدتسيهر تفطن إلى الصلة القائمة بين المدرسة المسرّية والصوفية الأندلسية التي جاءت بعدها.

ونؤكد في الأخير أنّ معرفة فكر المدرسة المسرّية ضرورية جدًا لفهم تاريخ الفكر الأندلسي، وفي استمراريتها في ((المدرسة الألميرية)) وأثره في فكر الصوفي لابن العربي ،مما جعل دورها أساسيا في التصوف الأندلسي كأداة وصل للمذهب الأفلاطوني الحديث الذي يحدد شكله الجدلي. أماعن علاقة المذهب المسرّي وفكر الفيلسوف الكاتلوني رامون لول(ت1316) (Ramon Lilull)، فإن ميغيل كروز هيرنانديس (*Miguel Cruz Hernández*)يعتبره أمرا لايعدو أن يكون مصادفة وأنها لم تصدر عن ابن مسرة مباشرة ،وإنما عن أفكار حلقات المتصوفةمع بدايات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي،المعاصرين لابن العربي[65].

***جدول: تلاميذ مدرسة ابن مسرة من الجيل الأول إلى الجيل الثالث ما بين سنة 266-638هـ/899-1240م[66]**

الجيل الأول :بعد سنة 266هـ/899م	محمد بن حزم بن بكر التنّوخي المعروف بابن المديني	أحمد بن غانم
	حي بن عبد الملك	أيوب بن فتح
	الياس بن يوسف الطليطلي(ت321/940م)	وخليل بن عبد الملك (ت323هـ/942م)
	أحمد بن غانم ابن صقيل محمد بن وهب القرطبي	أيوب بن سلمان اسماعيل الطليطلي ت343هـ/954م)
	محمد بن فضل الله بن سعيد	أحمد بن وليد(ت376هـ/986م)
الجيل الثاني :بعد سنة 370 هـ/980م	رشيد بن فتح الدجاج (ت376هـ/986م)	إبان بن عثمان(ت377هـ/987م)
	ابن الامام (ت380هـ/990م)	محمد بن عبد الله بن عمر بن الخير القيسي (ت382هـ/992م)
	محمد بن عبد الله بن عمر بن الخير القيسي (ت382هـ/992م)	عبد العزيز بن حكم الأموي (387هـ/997م)
	وسعيد من بيت البلوطي توفي سنة (ت404هـ/1013م)	اسماعيل بن عبد الله الرّعيني (ت432 هـ /1040م)،
	اسماعيل بن عبد الله الرّعيني (ت432 هـ /1040م)	
الجيل الثالث: بعد سنة 500هـ /1107م	أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاءالله بن العريف (ت 536 هـ /1141م) (ت 536 هـ /1141م)	ابن بكر محمد بن الحسين الميروقي
	أبا الحكم ابن برّجان (ت حوالي 536هـ/1141م)	أبا القاسم بن قسي (ت 546هـ/1151م)
	محي الدين محمد بن علي بن العربي (ت638هـ/1240م)	شمس الدين القرطبي (671هـ/1173م)

*من خلال هذا الجدول الذي رتبنا فيه بعض نماذج من اجيال تلاميذ مدرسة ابن مسرة ،حتى يتبين مدى التداول الدائم لكتب والفكر الفلسفي و تعاليم التصوف لدى ابن مسرة حيث تداول عبر ثلاثة أجيال على أقل تقدير،وفي وسط المتصوفة بشكل خاص إذ كان المصدر الأول لرموز الروحية الأندلسية للتصوف الأندلسي

وهنا لابد أن نتوقف في هذه النقطة ،بأنه وجد طرح موازي مفاده أنّ تأثر هؤلاء التلاميذ بأفكار مدرسة ابن مسرة الفلسفية والتصوف كان بدرجات متفاوتة فقد أخذ تلاميذ المدرسة المسرّية من روافد أخرى مغربية كانت أم مشرقية على وجه التحديد ،بدون أن نستثني تجربتهم الخاصة الفكرية في مجال الروحانيات أي التصوف. كما يبّينه المستشرق ليفي بروفنسال(ت1956) (Lévi-Provençale) قائلاً: «يجب أن لا نغفل التذكير بتأثرات غير الشرقية في نوعيتها كتأثيرات علماء اليهود الأندلسيين الذين طرحوا مسالة التوفيق بين الدين والعقل قبل ان يطرحوها مواطنوهم المسلمون للوصول إلى الحلول.[67] » .

4-2-أهمية الفكر المسرّي من خلال رسالة :التبصرة أو" الإعتبار".(نموذجًا) :

ضاعت كتب ابن مسرة كلها ولم يصل منها إلاّ إثنين هما: كتاب التبصرة "الإعتبار" وكتاب الحروف [68].تدور فكرة الرسالة فيما يلي :- الوحي والعقل طريقان للوصول إلى المعرفة الإلهية .ويبدآ الوحي بالموجود الأعلى –الاله- ثم يهبط تدريجيا حتى يصل إلى اسفل جزء في العالم .وعلى النقيض من ذلك يسير العقل ،حيث يبدأ من القاع ويصعد تدريجيا حتى يصل إلى الموجود الأعلى. وبهذه الطريقة يلتقي الطريقان –طريق الوحي وطريق العقل المؤيد بالبصيرة القلبية- في اثبات الحقيقة الكبرى التي يجب ان يسعى إليها الإنسان لإدراكها ،يقول ابن مسرة فتبين لك أن : « كل ما خلق من شيء موضوع للفكرة » ثم يضيف إلى ذلك قوله في شأن الأولياء المستبصرين : « ...أجل والله ،لقد أطلعتهم الفكرة على البصيرة .فشهدت لهم السموات والارض بما نبأت به النبوة .أما بالنسبة لطريق الوحي ...فنبأت الرسل عن أمر الله تعالى وافتتحت بالأعظم فالأعظم والأول فالأول في الصفة ،فدلت على الله عز وجل ،وعلى صفاته الحسنى ،وكيف بدأ خلقه وأنشأ واستوى على عرشه وكرسي ملكوته وسمواته وارضه إلى آخر ذلك... [69]».وأما بالنسبة لطريقة الإعتبار والتأمل فيقول ابن مسرة :« ... فقد أمرنا الله بالاعتبار لذلك ،وأشار إلى البدء فيه من آيات الارض ...فالعالم وخلائقه وآياته درج يتصعد فيها المعتبرون إلى ما في العلا من أيات الله الكبرى ،والمرتقي إنما من لأسفل إلى الأعلى...[70] » .

وحسب رأي ابن مسرّة فالضرورة تقتضي التدبر والاعتبار لما جاء به الرسول ﷺ ،بل ويرى أنه لا يمكن للإنسان أن يصل معرفة علم الكتاب حتى يجمع بين السبيلين :« ... ولا يصل بشر إلى

معرفة كلمة الكتاب حتى يقرن الخبر بالاعتبار ويحقق السماع بالاستبصار[71] ».وبهذا الموقف من الدين والتأمل يظهر دور ابن مسرة في تأمين مركز التفكير الفلسفي في الأندلس ،ويعتبر بذلك رائد لأمثال ابن السير (444-521هـ/1052-1137م) الذي نادى هو الاخر بأن الدين والفلسفة لايختلفان: « من حيث الغاية ...فهما يبحثان ويعلمان حقيقة واحدة بطرق مختلفة[72]» .

هذا ولقد إحتوت الرسالة على العديد من المصطلحات الفلسفية والعلمية القييمة،وخاصة فيما يتصل بالطبائع الأربع والافلاك والنفوس وتقسيمها وخصائصها،كما يلمح فيها بوضوح الترابط بين الحيوان والنبات ،وذلك القانون الذي استغله أرسطو بعد أن نادى به أمباذقليس خلال القرن الخامس قبل الميلاد. ولعل أخطر ما يمكن أن يثيره خصوم صاحب هذه الرسالة هو ما يمكن أن يفهم ضمنًا أن الرسالة إنما تدافع عن استعمال العقل وقدرته على الوصول إلى الحقيقة مستقلا تماما عن الدين، وهذا يؤدي إلى ادعاء إمكان الاستغناء عن الدين كلية مادام العقل كافيا في هذا الميدان[73].

وقد الّح ابن مسرة على وجوب الجمع بين الحقائق الموحاة وبين الأفكار المكتشفة في نظام فكري منسق ومتماسك وذلك حق.دون أن يعني ذلك استبعاد فروض كثيرة لتبرير طريقة العقل كظهير للدّين، وإن شئت فقل طريقة عقلية يباركها ويحميها الدين وهكذا نجد انفسنا وجها لوجه أمام محاولة من أهم المحاولات لتمهيد مكان أمين للفلسفة في المحيط الإسلامي دون إسراف في ادعاء الاتفاق التفصيلي بين حقائق الفلسفة وحقائق الدين .ذلك أن الشواهد التي سبقت في الرسالة إنما تتصل بخطوط عريضة وأفكار عامة تعتبر من الأسس الهامة المكونة لكل دين حق ،وهو وحدانية الله جل جلاله بالذات والفعل والتأثير–جوانب العقيدة الايمانية لابن مسرة -، وهذا في حدّ ذاته يلغي فكرة الادعاء كون ابن مسرة يستغني عن الدين كلية مادام العقل يحتوى جوانب هذا المجال. ومن هنا تتجلى أهمية رسالة الإعتبار إلى أنها إحدى المحاولات المبكرة بعد الفيلسوف الكندي (ت259هـ/853م).للتوفيق بين العقل والوحي . ومادتها ولاشك تقدم فرصة أفضل للتعرف على طبيعة وتطور الفلسفة الإسلامية بصفة عامة ،ولدى ابن مسرة بصفة خاصة[74].

هذا ولقد ذكر ابن مسرّة في أحد المقاطع من رسالته اشارات نقدية -Critiques- للفلاسفة ،فحسب اعتقاده أنّهم لم يكونوا موجهين من طرف الوحي بحيث إنهم لم يفهموا الرحلة التأويلية-للاعتبار-على الوجه الصحيح ،فانفصلوا عنها وتاهوا في منهج التأويل والاستنباط بطرق مشابهة للوحي والنبوة، فانحرفوا عن المسار الصحيح. فبالوحي وحده استطاع أن يثير حدس الفلاسفة حول أصل الوجود. وهذا ما عبّر عنه ابن مسرة قائلاً: « فهذا مثال استدلال الإعتبار،وهو الذي دار عليه وابتغاء المتصنّعون المسلمون بالفلاسفة بغير نيّة مستقيمة فأخطأوه، وفصلوا عنه ،فتاهوا في الترهات التي لا نور لها ،وإنّما رأوا أصل ذلك شيئًا سمعوه ،أوجدوا رسمه إثارة نبوة

ابراهيم عليه السلام في إعتبار خلائق الملكوت للدلالة على باريه. فأرادوا تلك السبل بغير نية خالصة[75] ».

نستنتج من هذا الطرح أنّ الفرق الأساسي بين الفلاسفة وأهل العرفان يكمن في أنّ الفلاسفة محرومين من النية المستقيمة-الى مرجعية إسلامية بحتة- لأنّهم يفتقرون إلى الأساس الشرعي .إنّ(المركب الشرعي) يحدد تجربة خاصة للرمز بما هو طريق تفكُّريّ لا بديل له. وبناءّ على ذلك ، أنه بهذا المعنى ،يمكن تمييز الفكر الشرعي ، مثل صوفية ابن مسرّة أو ابن العربي ، حيث الأطاريح الكلامية والباطنيّة ، لايمكن استبدالها بأخرى فلسفية عن فلسفة مُبانية للشرع ،حيث لا يمكن أن تحلّ الأطاريح الفلسفية محلّ الاستعارات ،التي يتّم اختزالها إلى عناصر أسطورية ففي النمط من هذا التفكير نجدأن الأولويات متعاكسة :في الفلسفة المباينة للشرع ،تساعد الأساطير والاستعارات في شرح الحقائق الميتافزيقية التي تُعدّ بمثابة مرجعيتها الموضوعية ،بينما في الفكر الشرعي التأويلي،تساعد الفلسفة على فهم الوحي ،والتي تشّكل أساسه الذي يسبقه ويسمو عليه .

وفي هذا السياق يؤكدألفريد جيوم(ت1965):-Alfred Guillaume قائلاً« ...وأنجبت أسبانيا ثلاثة من المفكرين الذين انحدروا من أصل عربي، وكان حظهم من التأثير في الناس عظيما هم: ابن مسرة، وابن عربي، وابن رشد، وإليهم يرجع الفضل في مزج الفلسفة بالدين، هذا المزج الذي أخذوه عن الكتابات التي دارت في الأفلاطونية الحديثة، والأميبزوقلية المنحولة، والأرسطاطاليسية. .. ومزجاها بطقوس المؤمنين الذين خالطت نفوسهم فلسفة نظرية وحدة الوجود [76]... ». وهي من الدلالات التي تبين أن حركة الفكر المسرّي تأثرت وأثرت ضمن تقليد الواسع المتنوع للتصوف المستوحى من روح الدين الإسلامي مما أكسبه أهمية بالغة متميزة بخصائصها في تاريخ تراث أفكار الفلسفة والتصوف في الحضارة الأندلسية والإسلامية .

5 -خاتمة:

بهذا القدر من العرض يمكننا أن نخلص إلى جملة من الاستنتاجات التالية:

-يُعدّ محمد بن عبد الله بن مسرّة، أول مؤسس لمدرسة فكرية حديثة بالأندلس خلال القرن الرابع الهجري أواخر القرن العاشر الميلادي، كانت له ردود لدى السلطة، كما كان له وقعه القوّي الأثر في بلورة بداية حركة التصوف والمذاهب الفلسفية العقلانية، على غرار المدرسة الافلاطونية الحديثة .

-انقسم الناس في أمر عقيدة وفكر ابن مسرة الى فرقتين :فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة في العلم والزهد ،وفرقة تطعن عليه بالبدع واتهامه هو ومريديه بالزندقة والإلحاد .

-واذا كان من الشائع عند مؤرخي الفلسفة، خاصة المستشرقين منهم بأن المسرّية هي عقلانية أمبيذقلية فإنّ المدرسة المسريّة في الواقع منبعها الروحي يصب في الفكر الإسلامي.لأنّ الخلفية للفلسفة اليونانية -التأويلية المشتركة - التي تعد إحدى المرتكزات المرجعية في الفكر المسريّ،لكن ذلك لا يعني الإنتساب إلى نسق فكري معين لمدرسة فلسفية محدّدة ،بل يبين مرونة وإنفتاح أمام احتواء علوم الأوائل من حكمة و فلسفة كمكسب مشترك حيث يساهم ويبدع فيه المسلمون كإضافة للتراث الفكر الإنساني عالميا.

- التقاء الحكمة بالدّين ينبثق عنه انصهار وحدة الحقيقة التي تؤكد صدق الوحي الذي يتجاوز حدود العقل،وبالتالي التوفيق في مزج المعارف العقلية في بوتقة المعارف الأصلية الإسلامية من علوم شرعية -عقيدية وفقه -

- تظافر السلطة في عصر الإمارة وكذا في عصر الخلافة الأموية بالأندلس من أجل ملاحقة تلاميذ تيار المدرسة المسرّية وكذا التعاون مع الحاجز الفكري لهيئة فقهاء المالكية التي مارست الضغط والقهر على الفلسفة مما أدى بالمشتغلين فيها إلى التّقَيِة والتستر.

- كشف مرسوم: الخليفة عبد الرحمن الناصر في التحذير من عقيدة ابن مسرة " بدون تورية عن علاقة الجانب الديني والعقائدي بالظروف السياسية، وكذا الانشغالات الاستراتيجية الخطيرة والحرص على جمع الكلمة تحقيقا للوحدة المذهبية .من أجل استمرار وحدة وقوة الدولة الأموية ببلاد الأندلس.

-أهمية دراسة كتب -المؤلفات -ابن مسرة بحيث يمكننا أن نتصور المبادئ التي قامت عليها عقيدته وكذا أخذ فكرة دقيقة عن صاحب هذه المدرسة الفلسفية في مرحلة نشأتها .

- إنّ مدرسة الفكر المسرّي أتثبت دليلا على أن الأندلسيين في هذا العصر بلغوا شوطاً كبرًا في الازدهار العلمي ،وأنهم استطاعوا أن يشاركوا غيرهم المسلمين في الاقطار الأخرى باتساع مساحتهم في الإبداع ودعم التفكير الصناعي في الفكر الإسلامي،حيث إنفرد بتلازمية تقاطع الفكر المادي -العقلاني الفلسفي والفكر الصوفي بتجلياته الروحانية .

-تعتبر المدرسة المسريّة فريدة ومتميزة من حيث مذهب عقيدتها الذي جمع بين فكر المتناقضات كونه عبارة عن تركيب لمبادئ المعتزلة المتعلقة بالوحدة الالهية ،والعدل الألهي،والقدرية مع النظريات والتطبيقات الصوفية بحيث ترك آثارا في الفكر والمنهج الصوفي الذي استهوى عددا كبيرا من التلاميذ على إمتداد العديد من الأجيال تجاوزت حدود مسافات الزمان والمكان لبلاد الأندلس القروسطية.

-يرجع الفضل الى آسين بالاثيوس في إعادة بناء مذهب وفكر المدرسة المسرّية وإخراجه بصورته الحديثة بإعتباره فكر فلسفي أصيل والبداية الواضحة للتصوف الأندلسي. وهي من الأسباب

التي تجعلنا نوصي من خلال هذا المقال بعث وتحفيز البحث في فكر المدرسة المسرّية من قبل باحثين عرب مسلمين لفرز واستجلاء ما هو فكر فلسفي محض، وما هو فكر صوفي روحاني. بعيد عن كل تأثيرات المقاربات الاستشراقية.

-الهوامش :

[1]- ابن الفرضي الأزدي محمد بن يوسف: (ت 403هـ/1103م)، تاريخ علماء الأندلس، حققه وضبط نصه وعلق عليه ،بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي ،تونس،ط1429،1هـ/ 2008م،ج2،ص ص 55-56. الحميدي الأزدي: (ت 488هـ/1095م)، جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق د.روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م،ص56 .

[2]- المعتزلة: لم تكن نشأة المعتزلة :من الفرق الإسلامية الأولى كان واصل بن عطاء الذي صار رأس المعتزلة فيما بعد، من تلامذة الحسن البصري ، فاختلف معه في حكم مرتكب الكبيرة واعتزل مجلسه . ابن حزم(ت456ه/1064م):الفصل في الملل والأهواء ،والنحل وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ، مكتبة السلام العالمية،ج4،ص 146 وما بعدها.

[3]- أنخييل قنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس،تقديم سليمان العطار ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة،2011،ص 371.

[4] .Lévi-Provençal Evariste :Histoire de L'Espagne Musulmane , Ed.G.P.Maisonneuve., Leiden.Ed.E.J.Brill.Paris.1950. T3, pp485-486.

[5]- الضبي أحمد بن يحي بن عميرة: (ت 598هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق د. روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.ج120،1. أنخييل قنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي،ص 371.

[6]- ابن الفرضي ،تاريخ علماء الأندلس،ج،ص2،ص55. أبو مروان حيان بن خلف القرطبي: (ت 469هـ/1076م) القطعة الخامسة: "المقتبس في أخبار بلد الأندلس، (360–364هـ/970-975م)، نشر وتحقيق، عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ص 32. ابن الأبار القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة المثني ببغداد، 1375هـ/1956م، ص 321ا.حسان عباس :تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ،دار الثقافة،بيروت،ط1969،2،ص31. سعيد عبد الله صالح البشري :الحياة العلمية في عصر الخلافة الاموية بالأندلس (316-422 ه/929-1031م)معهد البحوث العلمية واحياء التراث الإسلامية مكة المكرمة ه ،1997/1417م،ص310.

[7]- ابن عذاري:أبو عبد الله محمد المراكشي (ت بعد 712ه /1334م): البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب ،تحقيق ومراجعة: ج، سن، كولان، وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت .دت.ج1،ص ص 194-195.

[8]-.أنخييل قنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي،ص 372.بيلار غارّيدو كليمنتي(Pilar Garrido Clemente):هل كان ابن مسرة القرطبي فيلسوفا؟.ترجمة الحسن أسويق ،

مصدر المقال :دراسات استشراقية- Era Ibn Masarra de Córdoba un filósofo ?,Anaquel de Estudios Àrabes,vol.21(2010). Orientalisme Studies- ص ص 103-104.

[9]- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1. ص265.

[10]- محمود على مكي:التراث المشترك بين المغرب والأندلس في ميدان التصوف، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ،غرناطة1412ه /992 م ص ص158.

[11]- -ابن الفرضي ،تاريخ علماء الأندلس،ج2،ص56.

[12]- نفسه.

[13]- الفصل في الملل والأهواء والنحل ،ج4،ص146 ومابعدها.

[14]- صاعد الأندلسي أبوقاسم، (ت: 462هـ/1070م)، طبقات الأمم، نشره وذيله الحواشي: الأب لويس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م،ص ص 21-22.

[15]- الحميدي جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ص 56.

[16]- أبي نصر الفتح بن خاقان الأشبيلي(ت569ه/1135م) :تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس(مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس) دراسة وتحقيق،محمد علي شوابكة دار عما مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط1403،1/1983 ،ص ص 286-287.

[17]- القفطي :جمال الدين إبي الحسن علي بن يوسف (ت646 هـ/1268م):إخبار العلماء بأخبار الحكماء ،علّق عليه ووضع حواشيه ،إبراهيم شمس الدين ،دار منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط،2005 ،ج 1،ص19-20.

[18]- ابن الأبار : االتكملة لكتاب الصلة ،ج1، ص 356.

[19]- الفيومي محمد إبراهيم: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ص ص 274-275.

[20]- دوزي رينهرت: المسلمون في إسبانيا الإسلامية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م،ج1 ، ص13 .

[21] - Imprenta Ibérica, Madrid,1914,reprinted ,Madrid, 1946.p125.

[22]- من المفكرين اليونان الأوائل الذين أسسوا خلال 450 ق م مدرسة الفكر الوضعي، أي حاولوا وضع تفسير عقلاني للعالم المحسوس، ولقد اقترحوا حول بنية المادة و هيكلة العالم و الكون لمتحكمة.

Ger Iloyd, Origines et Développement de la science grecque, Ed, champs, Flamarion, Paris, 1990p p98-103.

[23]-ابن مسرة الفيلسوف الزاهد ،ص ص 23-24.

[24]- محمود على مكي:التراث المشترك بين المغرب والأندلس في ميدان التصوف، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ،غرناطة1412ه /1992 م، ص158

[25]-ابن مسرة الفيلسوف الزاهد ،ص ص 23-24.

[26]-- ميغيل كروز هيرنانديس :الفكر الاسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية ،(دراسة شاملة) ترجمة ،رشيد الحور، من كتاب :الحضارة العربي لإسلامية في الأندلس، ج2، ص1091.

[27]- نفسه .

[28]- الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر،كان جده من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام . مولدكان سنة 93 هـ/712 م . ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين: (ت 799هـ/1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.ص ص 17-18. توفي سنة 179 ه /794م. ومن أشهر مؤلفاته" الموطأ" . المصدر نفسه . ص 25-26 .

[29]-دومينيك ايرفوا : علماء الأندلس ، نقلاعن سلمى خضراء الجيوسي، المرجع السابق ،ج2،ص 1184.للمزيد ينظر صفحات هذا المقال من ص ص 1179 - 1194 .

[30]-هو الامام أبو عمر عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد،والأوزاعي نسبة غلى الأوزاع بطن من همدان ،ولد ببعلبك (88ه/706م) .وبرع في الحديث والفقه،وأصبح إماما جليلا له مذهب مستقل إلاّ أنه إنكمش أمام المذاهب الأخرى وقد توفي سنة 157ه /773م .ببيروت.ابن قتيبة ابي محّمد عبد الله بن مسلم(213-276 هـ /828-889م) :المعاف ، حققه وقدم له،ثروت عكاشة ،دار المعارف،ط1981،4.،ص ص 496-497. ابن الفرضي :تاريخ العلماء،ج1،ص 203. الحميدي ،جذوة المقتبس،ص 244.

[31]-عصر أمراء الطوائف الأول- المرحلة الأخيرة من فترة الإمارة،- تمتد في الواقع ما بين (238 -300هـ/852-912م) كما يحددها لنا مؤرخو الدراسات الأندلسية الحديثة :

.Edwardo.M.Moréno : Conquistadorés, Emires y Califas los Omeyasy la fomacion de AL-andalus.Madrid, 2006, pp196-.

[32]-ابن حيان، المصدر السابق ، س3، ص52.

[33]- عن ترجمة هذا الفقيه ،ينظر :الحميدي ،جذوة المقتبس ،ص108. الشيخ كامل محمد محمد عويضة،ابن مسرة ، ص22.

[34]- المرجع نفسه.

[35]- ا-نخل كنثالث بالنيثا : تاريخ الفكر الاندلسي 372.

[36]- ابن حيان ،المقتبس ،القطعة 5،ص 32.

[37] - سورة آل عمران الآية .85

[38]-سورة غافر الآية 72

[39]- سورة آل عمران الآية7

[40]- -كتاب المقتبس ، القطعة5 ،ص ص 20-36

- [41]علي بن محمد: النثر الأندلسي خلال القرن الخامس هجري، مضامينه وأشكاله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م،ج1،ص181.

ا[42]-نخل كنثالث بالنيثا : تاريخ الفكر الاندلسي ،ص 476.-

[43]- ابن صاعد ،طبقات الامم ،ص 48. ابن الأبار القضاعي البلنسي: (ت 658هـ/1260م) الحلّة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ج 1،ص ص201-202. المقري، نفح الطيب،ج1،ص 377.

- Jakub Sypianski :Les mouvements des érudits et des manuscrits entre Byzance et le monde arabe au IX siècle,p29.

[44]-انظر ،جدول المقال قائمة باسماء تلاميذ مدرسة ابن مسرة على امتداد ثلاثة اجيال ص 10.

- [45]ا-نخل كنثالث بالنيثا : تاريخ الفكر الاندلسي ص ص 374-375.

[46]- E. Levi Provençal, opcit.T3, pp 493-501.

[47]- ابن سهل أبو الأصبغ عيسى : ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس ، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى ، تحقيق ، محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الدولي القاهرة ط1، 1981، ص 83 .

E.levy p.opcit,pp457-458.

[48]- ابن الأبار :كتاب الصلة ، ص 465..احسان عباس ،تاريخ الأدب الأندلسي،عصر سيادة قرطبة ،ص 35.

[49]-محمود علي مكي ،المرجع السابق ،ص158.

[50]-أبن الحسن النباهي الأندلسي (ت بعد 793ه/1390م)،:تاريخ قضاة الأندلس ،او المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ضبطه ووشرحه وعلقت عليه ورتبت حواشيه،مريم قاسم الطويل ،دار الكتاب العلمية ،بيروت،ط1415،،1ه/1995.، ص29. ،ص ص103-105.

[51]- البيان ،ج2،ص ص 292-293.

[52] - ماريا ايزابيل فييرو(María Isaabel Fierro):الزندقة والبدع في الأندلس،ترجمة يعقوب دواني ، من كتاب :الحضارة العربي لإسلامية في الأندلس، ج2، ص ص 1250-1251.

[53]-انظر الجدول المرفق في هذا المقال،ص10 .

[54]- شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي :التذكرة في احوال الموتى وأمور الآخرة،تحقيقي أحمد حجازي السقا،المكتبة العلمية ،بيروت،ط،1982،ج2،ص 34.

[55]- محي الدين بن العربي، الفتوحات المكية،ضبطه ووضع فهارسه،أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية،بيروت،ط1420،1/1999،مج1،ص 226.

[56]-كتاب الميم ،(حيدر آباد ،ط1948)،ص 7. نقلا،عن كلود عداس ، هامش ،رقم 55،ص 1273.

[57]-عمر فروخ ،المرجع السابق،ص 529.للمزيد ينظر:أحمد أمين :ظهر الإسلام ،دار الكتاب العربي ،بيروت،ج4،ص ص149-165.

[58]-عمر فروخ ،المرجع السابق،ص 529.

[59]-أنخييل بلنيثيا :تاريخ الفكر الأندلسي ،ص377.

[60] -Abnmassara y su escula ;orígenes de la fílosofía hispano-musulmana. -. Imprenta Ibérica, Madrid,1914,reprinted ,Madrid, 1946.,pp142-143..1274 كلود عداس ،المرجع السابق،ص

[61]- التصوف الأندلسي وبروز ابن العربي،ص-1263 1264.

[62]-نفسه.

[63] -Dozy R.P. A : *Histoire des musulmans d'Espagne : jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides (711-1110)*, Leyde , Brill,2 ed, 1932,pp127-128.

[64]- التصوف الأندلسي وبروز ابن العربي،ص 1263.

[65]-ميغيل كروز هيرنانديس :الفكر الاسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية ج2، ص1093.

[66]-للمزيد عن هؤلاء التلاميذ يراجع : ابن الفرضي ،ج1، ج2،ابن الأبار ،التكملة لكتاب الصلة، المقري :نفح الطيب،ج1،ج3.احسان عباس ،تاريخ الادب الاندلسي :عصر سيادة قرطبة .

-[67] - E. Lévi Provençal: La Civilisation Arabe en Espagne, Vue générale, G.P, Maison Neuve et La rose, Paris, 1961 ,p20 .

ا.براهيم الفيومي،المرجع السابق،ص 147.

[68]- أنخييل بلنيثيا :تاريخ الفكر الأندلسي ،ص.374.

[69]- ابن الفرضي ،تاريخ علماء الأندلس،ج2،ص 97.كمال محمد محمد عويضة ،ص 39 .

[70]-- نفسه،ص 40.

[71]-نفسه.

[72]-هنري كوران :تاريخ الفلسفة الاسلامية ،ص 350. الشيخ كمال محمد محمد عويضة ،ص 40.

[73]- نفسه ،ص41.

[74]- نفسه ،ص ص 41-43.

[75] - Ibid,pp125-126.

[76]- نقلا عن :ابراهيم الفيومي ، المرجع السابق، ص 145.ينظر كذلك ،ص ص 287-295.

-قائمة أهم المصادر والمراجع:

-:القرآن الكريم

-: المصادر المطبوعة

1- ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي: (ت 658هـ/1260م) : التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة المثني ببغداد، 1375هـ/1956م.

2- ابن حزم(ت456هـ/1064م):الفصل في الملل والأهواء ،والنحل وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ، مكتبة السلام العالمية.د.ت.

3- ابن عذاري:أبو عبد الله محمد المراكشي (ت بعد 712هـ /1334م): البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب ،تحقيق ومراجعة: ج، سن، كولان، وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت .دت.

4- أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت 469هـ/1076م): "المقتبس في أخبار بلد الأندلس، (360–364هـ/970-975م)، القطعة الخامسة، نشر وتحقيق، عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م.

5- ابن الفرضي الأزدي محمد بن يوسف: (ت 403هـ/1103م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

-المراجع باللغة العربية

6- بالنثياأنخيل قنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

7- البشري سعيد عبد الله صالح :الحياة العلمية في عصر الخلافة الاموية بالأندلس (316-422 هـ/929-1031م)معهد البحوث العلمية واحياء التراث الإسلامية مكة المكرمة هـ ،1417/1997م.

8- الفيومي محمد إبراهيم: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

9- عباس حسان :تاريخ الأدب الأندلسي عص سيادة قرطبة ،دار الثقافة،بيروت،ط2 ، 1969.

-المراجع باللغة الأجنبية-:

10-Lévi-Provençal Evariste :Histoire de L’Espagne Musulmane , Ed.G.P.Maisonneuve., Leiden.Ed.E.J.Brill.Paris.1950. M.Moréno Edwardo.: Conquistadorés, Emires y Califas los Omeyasy la fomacion de AL-andalus.Madrid, 2006.

11 -Palacios Miguel Asín : Abnmassara y su escula ;orígenes de la fílosofía hispano-musulmana, Imprenta Ibérica, Madrid,1914,reprinted ,Madrid, 1946.

12 - Sypianski Jakub :Les mouvements des érudits et des manuscrits entre Byzance et le monde arabe au IX siècle.

- المقالات:

13-الجيوسي سلمى الخضراء: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م.

-كلود عداس: التصوف الأندلسي وبروز ابن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م.

14-بيلار غارّيدو كليمنتي: هل كان ابن مسرة القرطبي فيلسوفا؟.ترجمة الحسن أسويق ،(Pilar Garrido Clemente -Era Ibn Maarra de Córdoba Orientalisme Studies un filósofo ?,Anaquel de Estudios Àrabes,vol.21(2010).

15-الجيوسي سلمى الخضراء: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م.

-كلود عداس: التصوف الأندلسي وبروز ابن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م.

16-بيلار غارّيدو كليمنتي: هل كان ابن مسرة القرطبي فيلسوفا؟.ترجمة، الحسن أسويق ،

Pilar Garrido Clemente -Era Ibn Maarra de Córdoba un filósofo ?,Anaquel de Estudios Àrabes,vol.21(2010).) Orientalisme Studies.